تكوّن الهوية الاجتماعية عند الشباب الفرنسي-الجزائري.

سعيدون زروقي /طالب دكتوراه جامعة وهران 2 محمد بن أحمد
إشراف: د. عبد العزيز بن طرمول جامعة وهران 2 محمد بن احمد

الملخص:

تبدأ عملية تكون الهوية عند الشباب المنحدر من أصول جزائرية في فرنسا منذ المراحل الأولى للتنشئة، إلا أن ذلك لم يمر كما كان يتمناه الآباء فاستعصى عليهم الأمر في توصيل ثقافتهم الأصلية إلى أبنائهم حيث اصطدم هؤلاء الأبناء بنمط جديد من التنشئة الاجتماعية تمثل في مؤسسات أخرى كالمدرسة، الجامعة، الجمعيات، النقابات، الأحزاب السياسية وكذا الفضاءات الترفيهية المختلفة. من جهة أخرى، ومع تقدمهم في السن راح الأبناء يبحثون عن فضاءات أخرى لتعزيز انتمائهم وتثبيت هويتهم وذلك من خلال المساجد ودور العبادة، الجمعيات ذات الطابع الثقافي والديني بالإضافة إلى البحث والمطالعة الشخصية من خلال الكتب، المجلات، الاستماع إلى الدروس الدينية خصوصا عبر الأنترنت وغيرها. في ظل هذا الصراع بين الموروث الثقافي المرتبط بالبلد الأصلي لآبائهم من جهة وثقافة المجتمع المضيف التي تحيط بهم من كل جانب، من جهة ثانية، يسعى الشباب لبناء هوية اجتماعية خاصة بهم.

الكلمات المفتاحية: الشباب المنحدر من أصول جزائرية في فرنسا، الهوية، الهجرة، التنشئة الاجتماعية. الدين الإسلامي

Summary

The process of identity begins with young people of Algerian origin in France from the early stages of the formation, but this did not pass as the parents wished, so they failed to connect their original culture to their children, where these children collided with a new pattern of socialization represented in other institutions such as the school, the University, Associations, trade unions, political parties as well as various recreational spaces. On the other hand, as they age, children are looking for other spaces to strengthen their identity and identity through mosques and places of worship, associations of cultural and religious character, as well as personal research and reading through books, magazines

Listen to religious lessons, especially on the Internet and others. In the context of the conflict between the cultural heritage associated with the country of origin of their parents on the one hand and the culture of the host community on the other, young people seek to build their own social identity.

مدخل:

تشكل مسألة هوية الشباب المنحدر من أصول جزائرية في فرنسا، إحدى أهم المواضيع التي تطرح للنقاش في الدوائر العلمية، السياسية والإعلامية في الغرب لا سيما في فرنسا. خصوصا في السنوات الأخيرة عقب الأحداث التي ارتبطت بالعنف والتطرف. حيث أضحى الحديث والتساؤل عن: من هو المواطن الفرنسي الحقيقي؟ كون أن تلك الأعمال الإرهابية نسبت إلى شباب فرنسيين ذوي أصول مغاربية. إن مقالنا هذا يركز على إشكالية بناء هؤلئك الشباب لهويتهم الإجتماعية، حيث يستمدون أبجديات ثقافتهم من المحيط الأسري المتمثل في شخصية الأب والأم اللذان بدورهما ورثا تلك الثقافة ذات القيم والمعايير من بلدهم الأصلي قبل التحاقهم بفرنسا في إطار الهجرة.

تمر عملية تكوّن الهوية لدى الأفراد من خلال مسار التنشئة الاجتماعية. إن عمل التنشئة هذا الذي يشكل "مسارا اجتماعيا وشبه غامض [1] يهدف إلى التربية بطريقة مستدامة وذلك فيما يخص طريقة الكلام، الإحساس، التفكير والتصرف لمجموعة مشكلة بطريقة أصلية من طرف الهابيتوس (*habitus* حول مصطح الهابيتوس، طالع مؤلفات بيار بورديو) الذي نفسه مشكّل ومنتج اجتماعيا من مجموع " تكيفات مرتبطة بطبقة خاصة بشروط الوجود"[2].

مع مرور الوقت، مسار التنشئة هذا الذي يحدث في إطار هذه الطبقة الاجتماعية، يسمح بإنشاء "إيديولوجية طبقة" من خلال توظيف هذه "الأنظمة من التصرفات والأحكام المستدامة والقابلة للنقل، إنها بنيات مؤسسة ومهيأة لتوظيفها كبنيات بنّاءة، بمعنى أنها مبادئ مولّدة ومنظّمة للممارسات والتمثّلات المشكلة للهابيتوس"[3].

بواسطة هذا المسار الخاص بإدخال أحكام إجتماعية للطبقة الأصلية ومحتويات أخرى التي تقدمها مختلف المؤسسات على غرار العائلة، تحدث تنشئة الأفراد داخل المجتمع، هذه التنشئة تتشكل عن طريق الممارسات الفردية والجماعية، الذاتية والموضوعية. في هذا السياق كذلك "مفهوم التنشئة، يفهم على أنه سبب وتأثير في آن واحد، كموضوع للتفسير من طرف الاجتماعي وكتفسير لهذا الاجتماعي. تفسر السلوكات بواسطة تنشئة الفاعلين الاجتماعيين وذلك عن طريق إنجاز مخططات ونماذج داخلية، التي بدورها يجب تفسيرها بطبيعة المجتمع المنتج من طرف الفعل المنشأ"[4].

إن استيعاب مختلف الأحكام المتعلقة بالطبقة الأصلية، يضمن من جهة إعادة إنتاج البنيات الاجتماعية، ومن جهة أخرى، تثبيت الهوية الاجتماعية لدى الأفراد الذي يعتبر كتحديد ذو مكانة داخل المجموعة الاجتماعية وكذا فيما يخص الأحكام المرتبطة بها.

---

[1] **P. B**ourdieu, Le sens pratique, Paris, Ed. Minuit, 1980. p. 96

[2] **I**bid, p. 88.

[3] **I**bidem, p. 88.

[4] **F. D**ubet, D. Martuccelli, A l'école. Sociologie de l'expérience scolaire. Paris. Ed. Du Seuil, 1996.p. 51.

من ناحية أخرى "على مستوى الانتماء إلى الجماعات وإلى الفئات الاجتماعية التي تشكل الهوية الجماعية والهوية الاجتماعية[1]. لدى الأفراد. وعليه، لا يمكننا فهم الممارسات التي تميز كل فاعل "إلا بشرط ربطها بالشروط الاجتماعية التي تشكل فيها الهابيتوس الذي أظهرها والشروط الاجتماعية التي يعمل ضمنها"[2] من خلال مسار اجتماعي ومهني...إلخ.

كما أنه من أجل فهم مسارات ظهور الهوية الاجتماعية عند الأجيال المنحدرة من الهجرة الجزائرية في فرنسا، توجب علينا إعادة تشكيل المنحى الاجتماعي الذي سلكته عائلاتها، مساراتها وكذا تواجدها في فرنسا. خلقت الهجرة الجزائرية في فرنسا شروطا إقتصادية، ثقافية وإجتماعية جديدة للآباء اللذين نشأوا في بلدانهم الأصلية حيث الثقافة التقليدية حاضرة بقوة كما أن أفراد عائلاتهم كانوا أميين على العموم واستقروا حديثا في فرنسا لذلك لم يتسن لهم التعلم وبقوا على ذلك الحال. نحاول في هذا السياق فهم حالة المؤسسات المفتاحية التي سبقت عمل التنشئة الاجتماعية والظروف الاجتماعية والثقافية التي ضمنها نتج هذا الأثر الهويتي لدى الأجيال المنحدرة من الهجرة الجزائرية في فرنسا.

إن الإطار المؤسساتي والجيلي الذي بداخله تحدث التنشئة الذي "يعين مدى استيعابالأفراد داخل المجموعات الاجتماعية"[3]. يتميز اليوم بانقسامات متعددة. فيعود الأمر ليس فقط لسبب حالة الاستئصال التي ميزت المسار الاجتماعي، الثقافي والمهني لآبائهم في إطار الهجرة، إنما كذلك للحالة العامة للانتقال المتقطع الذي مسّ مؤسسات التنشئة "كل المؤسسات التي تندرج ضمنها استمرارية الأجيال تخسر اليوم أهميتها لمصلحة مؤانسة لتجربة مشتركة، لتواصل مباشر، لانخراط منتظم. إن المدرسة، الجامعة، الأحزاب السياسية، النقابات، الكنائس كذلك مستها هذه الحالة. لكن من الواضح أن تحول العائلة كونها مؤسسة تنشئة بامتياز هو الذي أظهر مباشرة مدى هذه الانعكاسات الاجتماعية وكذا النفسية"[4].

[i]هذا التطور الحاصل ليس بمعزل عن التأثير على بناء الهوية الاجتماعية لدى هذه الأجيال في فرنسا التي تتغذى من خلال مصادر أخرى ثقافية خارج إطار العائلة. إن الفضاءات الاجتماعية الكلاسيكية للتنشئة، في الواقع، أضحت اليوم ممتلئة بشبكات اجتماعية عديدة أخرى منتشرة هنا وهناك تتكفل بهؤلاء الأطفال على غرار الحركات الرياضية التي تنشط في كل الأحياء، نوادي الشباب، فضاءات اللعب من خلال مراكز التسلية، الرياضة، الانترنيت، الإعلام وغيرها. بالإضافة إلى ذلك، دور

[1] **H. M**alewska-Payre, « Stratégies de construction de l'identité et d'insertion sociale de la seconde génération », in Immigration, multiethnicité et socialisation des jeunes. Actes des cinquièmes journées internationales, Vaucresson, mai 1985. Vol.3.p.27.

[2] **P. B**ourdieu, Le sens pratique, op. cit. p.94

[3] **R. B**oudon, F. Bouricaud, Dictionnaire critique de la sociologie. Paris, Ed. PUF, 1982, p. 527.

[4] **D. H**ervieu-Léger, Le pèlerin et le converti. La religion en mouvement. Paris. Flammarion 1999. P.63.

المؤسسات التعليمية، النقابات، الأحزاب السياسية، المساجد، الجامعات وكذا الجمعيات ولجان الأحياء. كل هذه المؤسسات تلعب دورها في مدى ضبط التمثلاتوالسلوكات للأفراد إلى مجموعة من المعايير والقيم التي تصبح بالضرورة مشتركة"[1].

كما أن هناك نمط آخر من التنشئة اليوم وهو التنشئة الخاصة، يحدث ذلك من خلال رؤى متعددة عند الشباب خاصة المثقفين والمتعلمين منهم مقارنة بأسلافهم الذين لم يتسنى لهم التعلم أو غادروا مقاعد الدراسة مسبقا، ينخرط هؤلاء الشباب ضمن بحث شخصي نحو الأمثل، وبالنتيجة نعتبر دوما بأن " الهوية الاجتماعية حاليا ليست منقولة من جيل للجيل الذي يليه، إنما تبنى من قبل كل جيل وفق قاعدة الفئات والمراتب الموروثة من الجيل السابق، كذلك من خلال الاستراتيجيات المنتشرة في المؤسسات التي يمر بها الأفراد والذين يساهمون في تشكلها"[2]. وعليه فإن الأمر يتعلق بهوية في حراك دائم، في إعادة تشكل وإعادة بناء مستمرين بحيث تتطور من خلال اللقاءات والتغيرات التي من شأنها التأثير في الفرد.

هذه التطورات تفسر بدون شك تحول ميدان البحث عند المختصين الذين يميلون نحو أشكال وقوالب التنشئة لدى الأجيال الجديدة. "إهتم علماء اجتماع التربية في فرنسا من جهتهم بتحليل إعادة الإنتاج الدراسي، وتدريجيا حوّلوا نظرتهم نحو دراسة بناء هويات الشباب، المتحصل عليها داخل فضاءات اجتماعية وثقافية مختلفة. ضمن هذه الميادين المختلفة – الميدان العائلي، الميدان الثقافي...إلخ، نحن بصدد الإصرار أكثر فأكثر على الصفة التطورية للهويات بدلا من التركيز على الحقيقة المحددة لإعادة الإنتاج الاجتماعي. هنا نركز على الصفة الديناميكية لتكونها وفقا لعلاقات ملموسة التي ضمنها ينخرط الأفراد"[3].

هذا يعني أن بناء الهوية الاجتماعية لدى الأجيال المنحدرة من الهجرة الجزائرية في فرنسا لا تخرج عن نطاق هذا التطور خصوصا وأن تأصلهم في هذا البلد أصبح واقعا يرتكز على تواجد أجيال متعددة. في هذا السياق، كثير من الشباب لا يحبذون الإفراط في ربطهم بأصولهم. هذه الوضعية تثير لديهم تساؤلات حول هويتهم، فيعتبرون أنفسهم كفرنسيين، ولدوا ونشأوا في فرنسا، من آباء جزائريين أتوا لهذا البلد من أجل العمل طوال حياتهم بحيث أصبح أبنائهم مواطنين فرنسيين. يعرفون فرنسا أحسن من معرفتهم لبلد آبائهم الجزائر الذي لا يزورونه إلا في بعض المواسم على غرار عطلة الصيف أو من أجل حضور بعض مناسبات الأعياد والأفراح، حيث لا يسمح لهم الوقت بزيارة كافية لمناطق من بلدهم فيكتفون بزيارة بعض أقاربهم فقط.

---

[1] **J. B**oissonnat, **M**. **B**on, Semaines sociales. XXIIe session des sciences sociales de France tenue à Issy-les Moulineaux et intitulée, Les migrants, défis et richesse pour notre société. Paris, Bayard/Centurion 1998. P. 191.

[2] **C. D**ubar, La socialisation. Paris, Ed, Armand Colin, 2000. p. 122.

[3] **D. H**ervieu-Léger, Le pèlerin et le converti. La religion en mouvement. Paris. Flammarion 1999. P. 62-63.

إن مسار التنشئة بدأ داخل الفضاء العائلي الذي تقلص أكثر إلى حدود الوالدين فقط للأسباب والظروف والمعاناة التي رافقت الهجرة التي فصلت عن أبنائهم الكثير من الروابط والعلاقات التي كانت تسود مجتمعهم الأصلي. تنجز التنشئة في الحقيقة خلال مرحلة التربية الأولى أثناءها يحدث دمج السلطة الثقافية التي تصنع الجسم وكذا التمثلات حيث تصبح الآثار فعالة بصفة حقيقية أو رمزية لدى الأطفال حتى في إطار الهجرة. ذلك ما لاحظته إحدى الباحثات حول بنات تلقين هذا الرأسمال من المعطيات الترسيخية من قبل الآباء ومن قبل المحيط العائلي. "هذا الهابيتوس ليس فقط ترسيخا، إنه يشكل كذلك الشبكة والوعاء من خلاله يتعلمون، يدركون وأخيرا يتبنون كل الأشكال الجديدة التي باستطاعتها أن تكون الآن ومستقبلا مقترحة على تفكير الفرد[1].

هذا هو السبب الكامن وراء التراجع الذي تشهده العائلة ذات الأصول المغاربية على العموم والجزائرية على وجه الخصوص في فرنسا فيما يخص دورها في إعادة إنتاج ونشر القيم بين الأبناء. هذه العائلة بقيت البناء الذي من شأنه قذف قواعد الهوية الاجتماعية مشكلة هذه الأجيال المنحدرة من هذه الهجرة.

إن العائلة الجزائرية على غرار العائلات المغاربية الأخرى في فرنسا تستمر بتمثلها للأصول، كمعلم أو كمِؤشر للبحث الهوياتي الذي تنشطه الأجيال الشابة وهذا انطلاقا من مكتسباتهم حيث يبدأون في إظهار رؤى أخرى من أجل البناء لاسيما على المستوى الديني والاجتماعي غالبا في استمرارية لكن نادرا ما يتعارض مع هذه المؤسسة أي العائلة. فمثلا، كثير من الشباب يهتمون بالدين فقط من أجل إرضاء آبائهم، فيما البعض الآخر يرون في إسلام آبائهم إنما يمثل بالنسبة لهم موروثا يسمح لهم بالاستثمار فيه بعمق.

من ناحية أخرى، تمثل المدرسة فاعلا آخرا لتنشئة هذه الأجيال الشابة المنحدرة من الهجرة حيث تحدد هؤلاء الشباب ضمن منظور غالبا ما يتعارض مع المؤسسة العائلية. أولا بسبب المسافة المعتبرة التي تفصل بين الثقافة الشرعية التي تنقلها المدرسة وتلك التي تنقل عن طريق المحيط العائلي. ثانيا، بسبب التداعيات والآثار التي لا تقل أهمية على المستوى الاجتماعي وعلى المستوى الثقافي في نفس الوقت التي تنجم عن الذهاب إلى المؤسسة التعليمية. ثالثا، المدرسة الجمهورية تنقل مفهوما للهوية يعتمد على " فكرة أن المواطنة يجب أن تتجاوز الانتماءات الطائفية، وتحدد بعيدا عن كل الخصوصيات، (أنا أو نحن) وطني يستطيع من خلاله كل شخص تحديد هويته"[2].

هذه الهوية الأخرى المنقولة عن طريق المدرسة إنما تندرج ضمن عملية بناء الهوية الاجتماعية لدى هذه الأجيال المنحدرة من الهجرة الجزائرية في فرنسا. إن الثقافة الفرنسية حيث تحمل المؤسسة

[1] **C. L**acoste-Dujardin, Yesmina et les autres de Nanterre et d'ailleurs. Filles de parents maghrébins en France. Paris. Ed. La Découverte, 1992, p. 111.

[2] **J. B**oissonnat, **M. B**on, Semaines sociales.... op. cit. p. 187.

التعليمية المفتاح الذي يسهل نقلها حيث يخترق تلك الفضاءات الشرعية لدى الأبناء المتمثلة في المحيط العائلي على الأقل حسب درجة العلاقة التي تربط كل فرد مع محيط عائلته. على صعيد آخر، من خلال التنشئة داخل فضاء مؤسسة المدرسة تنتقل تلك المعايير الجديدة والمبادئ التي تؤسس الجمهورية على غرار العلمانية، المواطنة، عدالة الحقوق، المساواة بين الجنسين وغيرها...بغية تحقيق إندماج حقيقي داخل المجتمع. كما أن، الميزة الأخرى السوسيو-ثقافية للتردد على هذه المؤسسة التعليمية لا تخلوا من آثار حول تنشئة هذه الأجيال من أبناء المهاجرين الجزائريين في فرنسا مما يمهد الطريق لإمكانية الاستثمار ضمن المجتمع المحلي والحركة الجمعية بفضل إتقان لغة وثقافة هذا البلد المضيف.

إن الحركة الجمعوية تشكل المكان الذي تتجسد فيه هذه الإزدواجية التي تكون الهوية الاجتماعية لدى الأجيال المنحدرة من الهجرة الجزائرية والمغاربية في فرنسا. من جهة، هناك البعدالطائفي الذي يأخذ مرجعيته من العائلة ومن مؤسسات طائفية أخرى. ومن جهة أخرى، البعد المواطني حيث تنقل المدرسة ومؤسسات جمهورية أخرى وبدون توقف معايير تهدف إلى إدراجهم ضمن الفضاءات العمومية. وبالنتيجة، هذه الوضعية جعلت من خلال الجمعيات الدينية والثقافية والجمعيات المواطنية واللائكية هؤلاء الأجيال من الشباب للانخراط ضمن حلقات تنشئة تعيد تفعيل المصادر والأصول الدينية، الثقافية والمواطنية المختلفة.

تعمل الفئة الأولى من العمل الجمعوي ضمن خط الحفاظ على الثقافة الأصلية وذلك بالتركيز على المطالب الهوياتية، أماكن الصلاة وكذا العمل على تعزيز البعد الطائفي والديني الذي يفتقده الآباء والمحيط المباشر أحيانا. فيما تدرج الفئة الثانية من العمل الجمعوي نضالها في الإطار المواطني وكذا الإندماج مطالبة بالمساواة في الحقوق والفرص بين كل المواطنين ومناضلة ضد كل أشكال التمييز والعنصرية في المجتمع. وعليه فإن هذا العمل الجمعوي يضيف لمسته الخاصة إلى مختلف المكونات التي تصيغ الهويات الاجتماعية عند الأجيال المنحدرة من الهجرة تحت بعدها المزدوج المواطني والطائفي. وبالنتيجة، فإن هذه الازدواجية فيما يخص البناء الهوياتي، يتحدد مبحوثونا كمسلمين علمانيين أو فرنسيين مسلمين.

من جهة أخرى، مسار تنشئة الأجيال المنحدرة من أصول جزائرية، تم تفعيله داخل ظروف إجتماعية، ثقافية وسياسية غير مستقرة وغير متماسكة نتج عنها إقصاء، عدم اندماج اجتماعي، مهني وسياسي، عنصرية، صعوبات في التموضع فيما يتعلق بالثقافتين المؤسستين لهويتها. في هذا السياق "بناء الهوية ومسارات التحديد الهوياتي عند الشباب المنحدرة من الهجرة يجب أن تخضع للتحليل، وذلك بالأخذ في الحسبان السياق الاجتماعي حيث أن الصور التي يعيد إرسالها الأخرون لهم متناقضة

بشكل بارز"[1] الشيء الذي يقود هؤلاء الشباب إلى "بناء هوية متعددة أكثر منها متناقضة وديناميكية"[2]. هذه الوضعية تفسر بدون شك وزن الدين الذي أصبح معلما بالنسبة لهذه الأجيال والأساس الذي يثبت هويتها ويحدد سلوكاتها الاجتماعية وممارساتها الثقافية والاجتماعية لا سيما لدى الشباب الأصغر سنّا.

على العموم، الهوية الشخصية لدى أجيال الأبناء المنحدرين من الهجرة المغاربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص في فرنسا بنيت من خلال مجموعة من المقومات، بعضها صلب وبعضها الآخر متدبدب، عكس آبائهم الذين كانت لهم تنشئة موحدة ومؤطرة جيدا من طرف المؤسسات المجتمعية التقليدية للبلد الأصلي. هذه القنوات التي ضمنها ينخرط هؤلاء الأبناء ينقلون نماذج من التنشئة على الأقل تؤثر على الشباب حسب علاقاتهم بمختلف المؤسسات المكلفة بهذه التنشئة. في هذا الصدد يعتبر أحد الباحثين فيما يخص بناء الهوية لدى البنات، بأنها نتاج توافق عدة عناصر. حيث يظهرن في نفس الوقت إنتمائهن، علاقتهن بآبائهن، بتربيتهن وقوة حملهن للثقافة الأبوية، كما للثقافة الناتجة عن مشوارهن الدراسي وعلاقتهن خارج منزل الوالدين وكذا تلك العلاقات المحفوظة أو الممكنة مع الجنس الآخر، أخيرا بثقافتهن الفرنسية حين يعبرن عن أنفسهن".

Bibliographie :

P. Bourdieu, *Le sens pratique*, Paris, Ed. Minuit, 1980.

C. Dubar, *La socialisation*. Paris, Ed, Armand Colin, 2000.

F. Dubet, D. Martuccelli, *A l'école. Sociologie de l'expérience scolaire*. Paris. Ed. Du Seuil, 1996.

D. Hervieu-Léger, *Le pèlerin et le converti. La religion en mouvement*. Paris. Flammarion 1999.

C. Lacoste-Dujardin, *Yesmina et les autres de Nanterre et d'ailleurs. Filles de parents maghrébins en France*. Paris. Ed. La Découverte, 1992

J. Boissonnat, M. Bon, *Semaines sociales*. XXIIe session des sciences sociales de France tenue à Issy-les Moulineaux et intitulée, *Les migrants, défis et richesse pour notre société*. Paris, Bayard/Centurion 1998.

H. Malewska-Payre, *« Stratégies de construction de l'identité et d'insertion sociale de la seconde génération », in Immigration, multiethnicité et socialisation des jeunes*. Actes des cinquièmes journées internationales, Vaucresson, mai 1985. Vol.3.

A. Nehas, « Jeunes issus de l'immigration » in J-W. Wallet, A. Nehas, M. Sghiri (dir), Les perspectives des jeunes issus de l'immigration maghrébine. Paris, Ed. L'Harmattan, 1996

R. Boudon, F. Bouricaud*, Dictionnaire critique de la sociologie*. Paris, Ed. PUF, 1982.

[1] **A. N**ehas, « Jeunes issus de l'immigration » in **J-W. W**allet, **A. N**ehas, **M. S**ghiri (dir), Les perspectives des jeunes issus de l'immigration maghrébine. Paris, Ed. L'Harmattan, 1996. P. 18.

[2] **A. N**ehas, « Jeunes issus de l'immigration… op. cit. p. 18.